المدارس التبشيرية في العراق ابان القرن التاسع عشر (دراسة تاريخية)

أ.د. نعيم جاسم محمد
جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الانسانية –
naeem.jassim.humlec2@uobabylon.edu.iq

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٥/٢/١١ تاريخ قبول النشر ٢٠٢٥/٣/٢٦

المختصر

يتناول البحث المدارس التبشيرية في العراق ابان القرن التاسع عشر (دراسة تاريخية) ، واشار البحث الى اهم تلك المدارس والدول الاوربية التي قامت بتأسيس تلك المدارس ، في الوقت الذي كان فيه العراق تحت السيطرة العثمانية في القرن التاسع عشر ، وقد تضمن البحث اربعة محاور مهمة ، فقد اشار المحور الاول الى لمحة تاريخية عن ظروف تأسيس الجاليات الاوربية في العراق في ظل حكم السيطرة العثمانية في القرن التاسع عشر ، اما المحور الثاني فقد تحدث عن المدارس التبشيرية في ولاية بغداد في القرن التاسع عشر ، وسلط المحور الثالث الضوء على المدارس التبشيرية في الموصل في القرن التاسع عشر ، جاء المحور الرابع تحت عنوان المدارس التبشيرية في ولاية البصرة في القرن التاسع عشر وقد اعتمد البحث على عدد من المصادر ، ومنها الكتب العربية والاجنبية ، وعدد من الرسائل الجامعية اغنت البحث بمعلومات دقيقة ومهمة .

الكلمات المفتاحية : المدارس التبشيرية ، العراق ، القرن التاسع عشر

المقدمة

خضع العراق ابان خضوعه للحكم العثماني منذ القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين الى نفوذ عدد من الدول الاوربية ابان القرن التاسع عشر ، لا سيما البريطانية والفرنسية ، في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تمر بحالة من الضعف والانحلال ، مما دفع تلك الدول لتشجيع التبشير بالمسيحية في الولايات العراقية التابعة لحكم العثمانيين ، ومنها ولاية بغداد والموصل والبصرة وتوابعها ، وتأسيس عدد من المدارس التبشيرية فيها .

لم تكن الغاية من تأسيس تلك المدارس نشر التعليم المسيحي فقط ، بل كانت تقوم بتثقيف المجتمع العراقي من خلال فتح المكتبات وتوزيع الكتب على الطلبة وعامة الناس ، فضلاً عن قيام تلك المدارس بتوفير الرعاية الصحية لبعض

المناطق في بعض الولايات العراقية ، ولذلك شهد بعضها اقبالاً كثيراً ، ومع ذلك كان الهدف الرئيس لتلك المدارس هو التبشير بالثقافة الغربية والترويج لها ، من خلال اقامة العديد من المؤسسات التي كان ظاهرها ديني وثقافي وباطنها اهداف استعمارية ، اما هدفها الاسمى هو اضعاف الاسلام والمسلمين ومحاربة مبادئه السامية وتمزيقه ، من اجل تحقيق اهداف تلك الدول الاوربية.

تم تسليط الضوء على اهم المدارس التبشيرية في العراق ابان القرن التاسع عشر ، للتعرف على اهم تلك المدارس وكيف كانت تدار وما الجهة المسؤولة عنها ؟ وهل ان تلك المدارس كانت مرخصة من قبل السلطات العثمانية ؟ ، وما هي الدول التي قامت بتأسيس تلك المدارس ، وما تأثير تلك المدارس على الثقافة والقيم العربية والاسلامية في العراق ؟ .

قسم البحث الى اربع محاور رئيسة ، تضمن الاول لمحة تاريخية عن ظروف تأسيس الجاليات الاوربية في العراق في ظل حكم السيطرة العثمانية في القرن التاسع عشر ، وتحدث المحور الثاني عن المدارس التبشيرية في ولاية بغداد في القرن التاسع عشر ، اما المحور الثالث فقط اشار الى المدارس التبشيرية في ولاية الموصل في القرن التاسع عشر ، وسلط المحور الرابع الضوء على اهم المدارس التبشيرية في ولاية البصرة ابان القرن التاسع عشر .

اعتمد البحث على عدد من الكتب والرسائل الجامعية والبحوث المنشورة في عدد من المجلات الاكاديمية ، التي زودتنا بمعلومات مهمة ودقيقة عن المدارس التبشيرية في العراق ابان تلك المدة .

اولاً : لمحة تاريخية عن ظروف تأسيس الجاليات الاوربية في العراق في ظل حكم السيطرة العثمانية في القرن التاسع عشر

يرجع تاريخ أول إرسالية تبشيرية زارت الأقليات الدينية المختلفة في الشرق إلى زمن الحروب الصليبية ، عندما جاءوا للمنطقة للتبشير بالكاثوليكية, أما العراق فقد تدفقت الإرساليات اليه منذ مطلع القرن السابع عشر وكان على رأس تلك الإرساليات البعثات الكاثوليكية, اما الإرساليات البروتستانتية فقد تأخرت إلى بداية القرن التاسع عشر, وربما يرجع السبب في تأخرها إلى عدم وجود قاعدة بروتستانتية في العراق من جانب , كذلك اهتمام بريطانيا راعية ذلك المذهب بالجانب الاقتصادي والتجاري في العراق أكثر من الأول من جانب أخر, ولم يقتصر التبشير في العراق على فرنسا وبريطانيا وحدها , انما ساهمت دول أخرى في هذا الجانب من أجل أن تحقق نفوذ ومكاسب لها في العراق على حساب ابناءه المسلمين, وتزايد التنافس التبشيري بين الدول في القرن التاسع عشر لعاملين مهمين اولهما, ضعف الدولة العثمانية في نظر الدول الأوربية ومن يمثلها من الهيئات والمنظمات التبشيرية الأجنبية (الجبوري، ٢٠١٨، الصفحات ٥-٦).

وجد المبشرون ان التعليم مجالاً رحباً لنشر الأفكار ، ومن خلاله يتم التوغل الى عقول الناس ومد الجسور مع الشبيبة, لذا استهدفوا أبناء الأسر النبيلة ليكونوا زعماء مؤثرين في المستقبل, ولم يقتصر التعليم على الذكور بل شمل الاناث, ووجد المبشرون ان الدولة العثمانية ارضاً خصبة لنشاطاتهم, ولم تجد الجمعيات التبشيرية أي صعوبة لانشاء المدارس التبشيرية في الولايات العثمانية, وكان لغياب القوانين التي تحد من تأسيس تلك المدارس وتقييد عملها, فضلاً عن الامتيازات الممنوحة من الدولة العثمانية للدول الأجنبية التي وفرت الفرص للقيام بتأسيس تلك المدارس والتصرف

بحرية, ولم يمضِ وقتاً طويلاً حتى انتشرت اعداد كبيرة منها في ارجاء الدولة العثمانية وبعضها كان مخفياً, وعليه لم تكن حينها أي إحصائية دقيقة لعدد المدارس التبشيرية في الدولة العثمانية (بيات، ٢٠١٣ ، الصفحات ٦٧٥-٦٧٦).

من جانب اخر كانت الدول الأوربية الاستعمارية ومنذ أقدم الأزمنة ومن خلال العديد من الأدلة قد حاولت فرض سيطرتها على الولايات العثمانية العربية عسكرياً وسياسياً واقتصادياً , ومن ضمنها العراق واتخذت لذلك وسائل عدة من أجل تطبيق وتنفيذ أهدافها وخططها ، وكان التبشير أحد الأسلحة التي استخدمتها للسيطرة على البلدان متسترة بالعلم والحضارة الإنسانية التي وصلت إليها من أجل إخفاء نواياها التوسعية , ومن أجل التضليل بين أبناء البلد عملت إلى بناء المستشفيات والمدارس والتي كان يحتاج اليها الانسان, لأنّ الدولة العثمانية اهملت هذا الجانب, مستغلةً الامتيازات التي منحت لها من قبل الأخيرة لتطبيق أهدافها, , وعمدت الدول الاستعمارية إلى إرسال البعثات الأثرية و التنقيبية, كوسيلة للتجسس وجمع المعلومات عن المناطق التي يعمل بها اولئك من أجل إكمال الخطط النهائية الاستعمارية (الجبوري، ٢٠١٨، صفحة ٣).

وبناءً على ذلك مهد ذلك التغلغل للسيطرة السياسية والعسكرية ، ثم أنه أستمر معاضداً للسيطرة الاستعمارية ووجدوها في المنطقة , وكان من اهدافه محاولة فرض سياسة خاصة على المنطقة, وإجبار غالبية أبناء الشعب العربي لقبولها وتحقيق اهدافها على أرض الواقع بأقل الخسائر والتضحيات وبأقصر الطرق , وكان الهدف الأساس ليس التبشير بالدين النصراني بين مجتمع يغلب عليه الطابع الاسلامي على الرغم من وجود أقليات دينية ، بل بالتبشير بالثقافة الغربية والترويج لها من خلال إقامة العديد من المؤسسات التي كان ظاهرها ديني وباطنها اهداف استعمارية, أما هدفها الاسمى فكان اضعاف الإسلام والمسلمين, ومحاربة مبادئه السامية وتمزيقه من أجل منع حدوث أي تقارب وحدوي في المستقبل, كذلك سيطرتها على المنطقة وتحقيق أهدافها بتمزيق الأمة العربية الاسلامية إلى أجزاء صغيرة لا تستطيع تغيير واقعها , إلا بما يخدم القوى الأوربية الغربية, على الرغم من أن فرنسا اهتمت بالتنصير في العراق منذ تاريخ مبكر يرجع إلى القرن السابع عشر ، إلا أن ازدياد اهتمامها بالعراق إلى جانب كل من بريطانيا وبقية الدول الأوربية الأخرى راجع إلى بدايات القرن التاسع عشر, وكانت نتيجة ذلك هو اكتمال النظام الاقتصادي والرأسمالي الغربي بعد الثورة الصناعية التي حدثت في أوربا, وحاجة تلك الدول إلى سوق لتصريف منتجاتها ومواد خام لصناعاتها, وبسبب توفر تلك الأمور في العراق ، كما أن العراق مهم لطرق المواصلات بين الشرق والغرب, لذلك بدأ الصراع الاستعماري الأوربي من أجل السيطرة على العراق, لاسيما بين فرنسا وبريطانيا في القرن التاسع عشر, وكانت هذه الإرساليات التبشيرية تحرص على الدعم من قبل حكوماتها , وذلك بوصفهم اداة فعالة بيد الدولة لتحقيق أهدافها, وكان السفراء والقناصل في البلدان المختلفة وفي العراق يقدمون كل المساعدة لهم, مما شجعهم على التغلغل في الدولة العثمانية وجمع المعلومات التي تخدم بلدانهم في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية, وبهذه الطريقة عملت الدول الأوربية إلى توسيع نفوذها الاستعماري وسيطرتها على البلاد, وعقدت العديد من المؤتمرات العالمية فيما بينها وذلك لتنسيق اعمالها ومصالحها وعدم تداخلها (الجبوري، ٢٠١٨، الصفحات ٤-٥).

استمر التطور العلمي في اوربا أوائل القرن التاسع عشر ، اذ ظهرت أهم النظريات التربوية التي أكدت على أهمية التعليم ودوره في بناء الدولة، وفي ذلك الوقت كانت الدولة العثمانية في حالة تراجع إن لم تكن في حالة احتضار، فكان الجانب العلمي والثقافي في أسوأ مستوياته، لذلك انحرفت الأفكار في هذا العصر بشكل كبير حتى تدهور العلم والعلماء ، وظنوا أنه رجس لا ينبغي للمسلم أن يقبله ، وقد ألقى هذا التطور العلمي الهائل في أوروبا بظلاله على الدولة العثمانية، التي وجدت نفسها مضطرة إلى مواكبته، ولو بشكل صغير مع ظهور محاولات جريئة لإصلاح الواقع العثماني بشكل عام، والتعليمي بشكل خاص، ومنها إنشاء مكتب للبنين على النهج الحديث في عام ١٨٢٤ من قبل السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) والسماح لجميع الأولاد، بغض النظر عن دينهم أو معتقداتهم بالدخول إليه (Bedan, 2022, p. 4719)

اما التبشير الأمريكي في الدولة العثمانية, فقد بدأ بشكل شعبي من خلال تشكيل جماعة تبشيرية في كلية ويليمز عام ١٨٠٦, التي قام افرادها بمناشدة كنائس ولاية ماسوجوستيس المستقلة ليتم دعمها ومساندتها في عملية التبشير, وفعلا تم التعاون الذي نجم عنه تأسيس مجلس المندوبين الأمريكيين للبعثات التبشيرية الخارجية, بجهود جماعة من الكنيسة البروتستانتية المشيخية المستقلة في ولاية بوسطن عام ١٨١٠, وباشر المجلس اعماله التبشيرية في الدولة العثمانية بإرساله عام ١٨١٨ مبشرين أمريكيين وهما بلينتي فسك (Plenty Fsc) وليفي بارسنس (Levi Parsons), لتنفيذ اعمال تبشيرية في الدولة العثمانية, تمهيداً لفتح محطات تبشيرية ثابتة, والتي تأخر فتحها حتى عام ١٨٢٠ بوصول مبشران امريكيين الى ازمير واقاما فيها او محطة تبشيرية أمريكية, ثم اتسع النشاط التبشيري الأمريكي في الدولة العثمانية وبقسميها الاسيوي والاوربي, ففتحت محطات في طرابزون عام ١٨٣٥ وارضروم عام ١٨٣٩ وعين تاب عام ١٨٤٩, ومرعش عام ١٨٥٥ وادرنه وحلب وطرطوس وحدجين و والاسكندرونة وكيليس وسالونيا عام ١٨٥٠, وكان هدفهم في البداية كما يرى ايرهان في كتابه "المواقف العثمانية الرسمية تجاه المبشرين الأمريكيين" هو التبشير بين أبناء الطائفة اليهودية ، ثم اتسع المشروع ليشمل المسلمين والكنائس الشرقية, وادى ذلك التوسع فيما بعد ليشمل التدخل في شؤون الدولة العثمانية, والولايات المتحدة الامريكية, واعتمد المبشرون على أساليب عدة في عملهم التبشيري ، مثل فتح كنائس والجمعيات الخيرية والمستشفيات والمدارس والكليات والمكتبات وغيرها ؛ الا انهم ركزوا وبشكل ملفت على الوسائل التعليمية, لأنها تمكن المبشرين من التغلغل في المجتمعات وغرس أفكارهم في اذهان الأطفال وغير المتعلمين ومن ثم تنصير المسلمين واليهود ان استطاعوا ، وتحويل نصارى المنطقة من المذاهب المتعددة الى المذهب البروتستانتي, لاسيما وان الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر كانت تعاني من نقص شديد في اعداد المدارس وتفشي الامية (إسماعيل، ٢٠٠٩ ، صفحة ٦١).

ارتبط تطور العملية التعليمية في العراق بعملية التطور والإصلاح في الدولة العثمانية, وبعد ان تبنت الاخيرة خطة الإصلاح اصدر السلطان العثماني عبدالمجيد (١٨٣٩-١٨٦١), فرماناً اصلاحياً اطلق عليه (خط شريف كولخانه) عام ١٨٣٩ ، وعبّر هذا الفرمان على حاجة الدولة الملحة للإصلاح في جميع النواحي, واكد هذا الفرمان على قبول الطلبة غير المسلمين من رعايا الدولة العثمانية في المدارس الرسمية, وإعطاء الأقليات غير المسلمة الحق في انشاء مدارس خاصة بهم على ان تكون تحت اشراف مجالس المعارف (الدوري، ٢٠١٠، صفحة ٤).

يرى الباحثين الاتراك الذين تناولوا اوضاع التعليم في الدولة العثمانية, ان المدارس الأجنبية التي تأسست في أراضي الدولة العثمانية أقيمت لغايات تبشيرية, واستغلوا الحقوق الممنوحة من قبل الدولة العثمانية للطوائف الدينية بعد اعلان فرماني (خط شريف كولخانة) عام ١٨٣٩ وخط همايون – الذي صدر في عام ١٨٥٦، فيما يتعلق بالتنظيمات والإصلاحات, واستخدموا المؤسسات الدينية والخيرية والتعليمية لتحقيق أهدافهم في هذا المجال, الا ان بعض الدول استخدمت تلك المؤسسات كأداة استعمارية للتدخل في شؤون الدولة العثمانية , اذ كانت في بادئ الامر تدار من قبل الكنائس, وغدت فيما بعد تدار من قبل حكومات الدول الممولة لها واخذت تتبنى الطابع العلماني شيئاً فشيئاً, ولم تقتصر مناهجها على التعليم التربوي ، بل شملت التعليم المهني, اذ كانت تخطط الى انشاء جيل قادر على شق طريقه في الحياة المهنية وفقاً لما خططت له (بيات، ٢٠١٣ ، صفحة ٦٧٥).

ان تحدي الواقع التعليمي من الواجهة وإزالة كل ما من شأنه أن يخلق التمييز والفتنة الطائفية من جهة أخرى، ادى بطريقة أو بأخرى إلى إحداث التقدم والأمن والسلام في الدولة، وقد تبع هذا الجهد قيام السلطان عبد المجيد باتخاذ عدة إجراءات كان هدفها التجديد والاستعانة بالغرب والاقتداء به والنهوض بالدولة العثمانية وإرساء الأمن والسلام فيها، اذ ان اصدار فرمان (خط شريف كولخانة) عام ١٨٣٩، رسم فيه الخطوط العامة للإصلاحات، ومن ضمنها التعليم، وعلى إثر ذلك تشكلت لجنة خاصة عام ١٨٤٥ لهذا الغرض، وأصدرت هذه اللجنة توصياتها باعتماد المنهج الغربي، وأصدرت منهج التدريس عام ١٨٤٨، ولم ينفذ إلا في عام ١٨٦٩، ونتيجة لذلك فتحت مكاتب لتخريج الكوادر المدنية والعسكرية في البلاد وقد حققت هذه الجهود والمحاولات، على الرغم من ضعفها بعض التقدم، سواء من حيث التطور العلمي أو من حيث المساواة بين الجمهور والمستفيدين في الدولة، وهذه الحقيقة شكلت نقطة مهمة لإزالة كل ما من شأنه أن يزرع بذور التمييز والصراع، وهنا تجلت أهمية التعليم ودوره في بناء المجتمع، وفي شهر آب ١٨٤٦، أصدر الباب العالي قانوناً لإصلاح النظام التعليمي في الدولة العثمانية، وبموجب هذا القانون تولت الدولة الإشراف على التعليم بدلاً من رجال الدين، وتم إنشاء مجلس دائم للعلم عرف بـ (ديوان المعارف العمومي)، والذي تحول اسمه في عام ١٨٤٧ إلى ديوانين عامين ، ولكن الحقيقة أن العراق لم يشهد أية محاولات إصلاحية حقيقية إلا في عهد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢)، وقد عملت الدولة العثمانية جاهدة على الاهتمام بالتعليم وتحسينه، وفي الوقت نفسه أصدرت الدولة العثمانية في ٢٠ ايلول ١٨٦٩ قانون المعارف العامة (نظام المعارف العامة) والذي بموجبه تم تأسيس نظام مدني كامل للتعليم الدولي الرسمي بشكل مباشر ، وقد ساعد هذا القانون على ربط الولايات العراقية ببعضها البعض، أي أنها كانت محاولات بسيطة لبناء السلام بين أهل العراق، وهذا لا يمكن أن يتحقق بدون التعليم ، ثم تلا ذلك صدور الدستور العثماني عام ١٨٧٦ والذي أولى التعليم اهتماماً كبيراً ، وكان أهم ما فيه فيما يتعلق بالتعليم - نشر المعرفة العامة التي تعود بالنفع على العامة- جعل التعليم العالي إلزامياً في جميع ارجاء الدولة العثمانية - التعليم الأساسي إلزامياً لجميع الشعب العثماني ، ويعد في مقدمة الأمور التي تساعد على بناء وتطور البلاد، ولكن لم يتم تنفيذه كما أراد، بل سمح للأقليات غير المسلمة بإنشاء مدارسها الخاصة تحت إشراف الحكومة، التي انضم تحت لوائها حتى المسلمون ، مما يؤكد سيادة روح التسامح بعد تطور الأفكار ، وقد

أدى تطور الأفكار إلى تطور المطالب التعليمية التي كانت تهدف إلى ترقية وتطوير التعليم، والتي سعت إلى إيجاد المدارس (الكليات) بدلاً من السفر إلى الخارج للدراسة والحصول على شهادة جامعية (Bedan, 2022, p. 4720).

وفي السياق نفسه أشارت الحكومة العثمانية إلى المدارس القليلة في العراق والمتناثرة هنا وهناك، ودعت إلى ضرورة فتح مدارس جديدة للبنين والبنات، وإنشاء كلية للقانون في بغداد، مشيرة إلى حاجة البلاد إلى الكفاءات العلمية من القانونيين والإداريين ، وعلى الرغم من موافقة السلطات العثمانية على المقترح ، إلا أن مدرسة الحقوق لم تفتتح لعدم وجود مكان مناسب لذلك، فتقرر دمجها مع المدرسة الحميدية - أول مدرسة نظامية في العراق- ولم يكن من السهل تغيير اسم المدرسة الحميدية وتحويلها إلى مدرسة الحقوق ، لأن ذلك من شأنه أن يسبب القلق والارتباك، فتقرر تأجيل إنشاء مدرسة الحقوق إلى وقت آخر، وكانت هذه هي المشكلة الحقيقية التي واجهت إنشاء مدرسة الحقوق (Bedan, 2022, p. 4721).

اما فيما يتعلق بأهم المدارس التبشيرية التي تم تأسيسها في العراق ابان القرن التاسع عشر وفي ظل الحكم العثماني، فسيتم الحديث عنها كالآتي :

ثانياً : المدارس التبشيرية في ولاية بغداد في القرن التاسع عشر

ظل العراق بولاياته الثلاث(البصرة, الموصل, بغداد), تحت السيطرة العثمانية منذ القرن السادس عشر في حالة فوضى واضطراب في أوضاعه السياسية والاقتصادية والثقافية, ولم يجر فيه اصلاح ملحوظ حتى القرن التاسع عشر, حين شهد محاولة إصلاحية في عهد مدحت باشا الذي عين واليا على بغداد, وزوّد بصلاحيات واسعة لتنفيذ اصلاحات في الولايات الثلاث, وكان في العراق مؤسسات شعبية متمثلة بالكتاتيب والمدارس الدينية, والتي ادت دوراً هاماً في حياة المجتمع العراقي, لا سيما قبل ان تنشأ المدارس الحديثة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (الجبوري، ٢٠١٨، صفحة ٧).

نشأت في العراق في العهد العثماني الأخير مدارس اجنبية نتيجة لمجيء عدد كبير من الارساليات التبشيرية الغربية, في أوقات متعدد لاسيما خلال عهد التنظيمات العثمانية (١٨٣٩-١٨٧٧), فاختلطت تلك الارساليات مع السكان وتوسع نشاطها بفعل دعم عدد من الدول الأجنبية لها ماديا ومعنويا, وكانت فرنسا من انشط تلك الدول في ميدان الحركات التبشيرية, اذ قامت بأنشاء عدد من المدارس على النهج الفرنسي في بغداد والموصل, وضمنت لها الحماية وحرية الحركة, وتمتعت بريطانيا هي الأخرى بنفس تلك الامتيازات, وارسلت بعثة تبشيرية تابعة لها, وكان التعليم احدى الوسائل التي اتخذتها تلك البعثات لتحقيق أهدافها في العراق وكانت أوضاع المدارس التبشيرية في العراق افضل من المدارس المحلية, ففي الوقت الذي كانت تعاني فيه المدارس الحكومية من الإهمال والنقص, كانت المدارس التبشيرية تتمتع بدعم الحكومات الغربية, الامر الذي جعلها تسهم بشكل او باخر بالحركة الفكرية, وان كانت لها غايات أخرى, الا انها ساهمت في ادخال اللغة العربية في دروسها, فضلا عن تدريس اللغات الاوربية ، ولاسيما الإنكليزية والفرنسية, وكان ذلك سببا في اقبال العراقيين على تلك المدارس (الحسن، ٢٠١٦، الصفحات ١٥-١٦).

وذكرت بعض المصادر ان الإدارة العثمانية في العراق اغفلت شؤون التعليم وتركت الباب مفتوحاً لمختلف الارساليات التبشيرية لفتح المدارس الخاصة بهم, وكان سبب ازدياد الاقبال على تلك المدارس؛ بسبب ان المدارس الحكومية كانت تدرس فقط اللغة العربية, بينما أدخلت المدارس التبشيرية اللغة العربية الى جانب الإنكليزية والفرنسية في التدريس في مدارسها (الحسن، ٢٠١٦، الصفحات ١٥-١٦).

اما اهم المدارس التبشيرية في ولاية بغداد فهي :

أ – المدارس الكاثوليكية الفرنسية

يعود تأسيس المدارس الاجنبية في ولاية بغداد في النصف الأول من القرن السابع من قبل الارسالية الاوربية التي وصلت الدولة العثمانية وفي طليعتها الارسالية الفرنسية الكاثوليكية في بغداد , وفي عام ١٦٢٦ قدم الآباء الكبوشيون الى بغداد وخلال مدة اقامتهم فيها قام الاب جوست دي بوفي (Juste De Bove) بتأسيس مدرسة تبشيرية ملحقة بالكنيسة الكبوشية الكاثوليكية عام ١٦٢٧, وضمت هذه المدرسة أبناء طائفتي السريان والارمن الكاثوليكيين, تحت اشرافه وادارته فضلا عن التدريس فيها, وكان الطلبة يتلقون فيها دروساً في اللغات الفرنسية واللاتينية والإيطالية والمنطق والفلسفة وعلم اللاهوت والتراتيل والطقوس الكنسية, اذ قام الآباء الكرمليون بنشاطهم من خلال الارسالية الكرملية الكاثوليكية في ولاية بغداد مطلع القرن السابع عشر (رجب، ٢٠١٥، الصفحات ٨-١٠)؛ (عباس، ١٩٩٧، صفحة ١٢٠).

واسسوا مدرسة دينية صغيرة ملحقة بكنيسة اللاتين عام ١٧٢١, في عكد النصارى في بغداد وكان مؤسسها الاب الفرنسي عمانوئيل بايله (Emmanuel Bayle), وتعد هذه المدرسة من المدارس الدينية التي كانت تتلقى فيها مبادئ القراءة والكتابة والأخلاق والتعليم الديني والطقوس الكنسية , ثم تطورت شيئاً فشيئاً وانفصلت عن الكنيسة وشرعت بالعمل وفق نظم التعليم الاوربية الحديثة عام ١٧٣٧ باسم مدرسة القديس يوسف, وادخلت الى مناهجها العلوم الحديثة واللغة العربية واللغة الفرنسية وقليل من اللغة التركية, وعزم رؤساؤها على تنظيمها وترقيتها الى مدرسة عالية ، وهكذا توسعت المدرسة بفضل الآباء الفرنسيين حتى جعلوها في مصاف المدارس العالية في بغداد عام ١٨٥٩ ، واطلقوا عليها اسم مدرسة القديس يوسف العالية, التي أصبحت تضم المراحل الثلاثة: الابتدائية والرشدية (المتوسطة) والاعدادية (الجبوري، ٢٠١٨، صفحة ١٠)؛ (رجب، ٢٠١٥، الصفحات ٨-١٠)؛ (عباس، ١٩٩٧، صفحة ١٢٠).

وبحلول عام ١٨٨٠ تولى إدارة المدرسة الفرنسي جان جوزيف الكرملي (Jean Joseph Carmeli), والذي اهتم بشؤونها ونظم قوانينها وادخل الى مناهجها مختلف العلوم والفنون باللغة الفرنسية ، والتي اسهمت كثيراً في نشر الثقافة الفرنسية لدى الطلبة ، فضلاً عن ادخال الالة الموسيقية النحاسية, وكان هو نفسه يضرب على آلة الأرغون ويدرس أصول الغناء الكنسي, وخلال العامين ١٨٩٣-١٨٩٥ تالفت الهيئة التدريسية للمدرسة من مديرها الاب ماريا جوزيف الكرملي (Maria Joseph Carmeli)(مدرس اللغة الفرنسية والعلوم الأدبية والإنسانية) والأب جان جوزيف الكرملي (مدرس البلاغة الفرنسية والصرف الفرنسي) والأب بيير ماري (Pierre Marie) (مدرس الرياضيات ومبادئ الهندسة والرسم) والأب عمانوئيل(مدرس الموسيقى) والأب انستاس ماري الكرملي (Instance Marie Carmeli)(مدرس اللغة العربية)

والأب مايكل إبراهيم (Michael Ibrahim) , (مدرس اللغة الإنكليزية), وكان عدد الطلبة قد بلغ (٣٠٠) طالب (رجب، ٢٠١٥، الصفحات ١١-١٣)؛ (الدوري، ٢٠١٠، صفحة ١٠).

أصبحت المدرسة تضاهي في علميتها المدارس الفرنسية, نتيجة لمنهاج المدرسة المتطور, بسبب اتباعها نظام الحلقات التدريسية, والتي كانت تعتمدها المدارس الحديثة في اوربا آنذاك, وكانت تلك الحلقات باللغتين العربية والفرنسية, وتدار من مدرسين فرنسيين وعراقيين, مما ادى الى انتشار المفردات الفرنسية بين أبناء العامة من الناس , وضمت الحلقة الفرنسية خلال نهار الاثنين والأربعاء والخميس والسبت من الساعة الثامنة صباحاً حتى العاشرة صباحاً ، وان المناهج التي كانت تقوم بتدريسها هي المواد المختلفة من تاريخ العام وتاريخ فرنسا والجغرافية والحساب والجبر والهندسة والرسم والطبيعيات والكيمياء, اما الحلقة العربية فكانت تبدأ من نهار الاثنين والثلاثاء والخميس والسبت وتبدأ من الساعة الثانية ظهراً الى الساعة الرابعة عصراً , وكانت تضم المواد الآتية : نحو وصرف واملاء للتشكل والقواعد, علم الانشاء والرسائل, وجغرافية وتاريخ كنسي وعلم الحساب الخ, فضلاً عن الحلقات الدراسية الأخرى التي ضمت تدريس اللغة الفرنسية والإنكليزية والتركية والكلدانية, حتى أصبحت ذا مكانة عالية بين المثقفين في بغداد, اذ كانت مكتبتها تضم ما يقارب التسعة عشر مجلداً, واعتاد الآباء الكرمل إقامة الحفلات في دير الآباء لتكريم الطلبة المتفوقين والهيئة التدريسية بحضور القنصل الفرنسي وعدد من الكهنة والوجهاء (رجب، ٢٠١٥، الصفحات ١١-١٣).

وكان للآباء الكرمليين مدرسة للبنات ، اذ أسس رئيس البعثة في بغداد المنسنيور هنري التماير(Henry Al Tmaier) عام ١٨٦٨ مدرسة للبنات ادارتها خمس راهبات من المدرسة المتقدمة الفرنسية, وبلغ عدد طالباتها (٥٦) طالبة, وفي عام ١٨٩٤ بلغ عدد الطالبات (٣٠٠) طالبة, وفي عام ١٨٨٠ أسست مدرسة الراهبات المركزية للبنات , بواسطة الراهبات من المدرسة المتقدمة الفرنسية في محلة النصارى في بغداد (رجب، ٢٠١٥، الصفحات ١٤-١٥)؛ (عباس، ١٩٩٧، صفحة ١٢٠).

كما أسست البعثة الكرملية في بغداد مدرسة داخلية للبنات اليتيمات المسيحيات ملحقة بمدرسة البنات, عام ١٨٩١, وكانت تديرها الراهبة الفرنسية كاتيرينا (Katerina), بلغ عدد طالباتها (٢٥) طالبة, حتى بلغ عدد المدارس الفرنسية في القرن التاسع عشر (١٥) مدرسة, من ضمنها مدرستين للبنين وثلاث للبنات (جريان، ٢٠١٣، صفحة ٩).

ب - المدارس البروتستانتية البريطانية

بدأت البعثات التبشيرية البروتستانتية تنافس التبشير الديني والثقافي الفرنسي في العراق في نهاية القرن الثامن عشر ، وعليه قدم المبشر البريطاني جروفر (Grover) وزوجته, لغرض القيام بحركة تبشيرية واسعة, فأسس مدرسة مسيحية لأبناء الأرمن الأرثدوكس, لتدريس اللغة الأرمنية والعلوم الدينية واللاهوتية والطقوس الكنسية للمذهب البروتستانتي الى جانب اللغة العربية والإنكليزية, واشرف جروفر وزوجته على الشؤون الإدارية والتعليمية في المدرسة وكان ينوي انشاء مدرسة مشابهة لها للبنات ، الا ان جهوده باءت بالفشل ، بسبب مقاومة البعثات الكاثوليكية الفرنسية لنشاطه الديني والثقافي, الا ان البعثات البروتستانتية لم تستسلم وقدمت الى بغداد في مطلع القرن التاسع عشر, وعملت تحت اشراف المجمع التبشيري الديني الإنكليزي, بعد حصولهم على الموافقة من قبل بريطانيا لمزاولة أعمالهم, وتمكنت تلك البعثات خلال القرن التاسع عشر من الدخول الى ميدان التعليم, لاسيما بعد ان اقرت الدولة العثمانية بان التعليم جزءاً من الأمور المرتبطة بالأديان والمذاهب غير المسلمة واعطت الرخصة الكاملة لفتح المدارس ومنحتهم حق

إدارة شؤونها الإدارية والتعليمية وفقا لما يروه مناسباً, ويعود تأسيس اول مدرسة بروتستانتية في عام ١٨٩٥ بعد ان قدمت السفارة البريطانية في إسطنبول طلباً بذلك, وحصل الراهب البروتستانتي البريطاني موسيو باريف (Museu Barev) المقيم في بغداد على ترخيص لتأسيس المدرسة, وعليه أسست عام ١٨٩٦ في محلة عكد النصارى, وبلغ عدد طلبتها في عام ١٩٠٠ (٣٠) طالب وطالبة (بيات، ٢٠١٣ ، صفحة ٧١٩), الا انها لم تستمر؛ اذا أغلقت من قبل السلطات العثمانية، بسبب عدم التزامها بالتعليمات الرسمية المتبعة, وفي عام ١٨٩٧ أسست البعثة البروتستانتية مدرسة للبنين بلغ عدد طلبتها في العام نفسه (٧٠) طالباً, وفي عام ١٩٠٠ بلغ (٤٥) طالباً, وفي عام ١٨٩٧ أسست البعثة مدرسة للبنات وبلغ عدد طلبتها (٣٦) طالبة, وهي ابتدائية ورشدية, وكانت المواد التدريسية تضم اللغة العربية والإنكليزية الى جانب الدروس المهنية والاشغال المنزلية, وكانت المدارس البروتستانتية اعتمدت على المسيحيين بالغالب للقيام بعملية التدريس, وانخفض عدد طلبتها عام ١٩٠٠ الى (١٦) طالبة , ومن الملاحظ ان هذه المدارس لم تتطور, بسبب سياسة البروتستانت التي كانت تعمل على زعزعة الامن واحداث التفرقة بين الطوائف, فضلاً عن دخولها في مجال التعليم متأخراً مقارنة مع الارساليات الاخرى (البدراني، ٢٠١٢، صفحة ٧٠٤).

ت - المدارس اليهودية

كانت مدرسة الاليانس (اليهودية) للبنين قد أسست في ولاية بغداد من قبل جمعية الاليانس الفرنسية في عام ١٨٦٤, وكانت في بداية الامر تدار بواسطة مقري الجمعية في فرنسا ولندن وبمساعدة لجنة يهودية في بغداد, وكان مديرها هو ماكس (Max) يهودي الأصل ، ومن ثم ادارها موسيو دانو(Museo Dano) الذي كانت الرخصة باسمه, وكانت المدرسة غير مرخصة حتى عام ١٨٩٤, واشتملت على مدرسة ابتدائية ورشدية, وكانت المواد المقررة التي تقوم بتدريسها هي: العربية والعبرية, والإنكليزية والفرنسية والتاريخ والجغرافيا والتاريخ الطبيعي, والقراءة والعلوم المالية, والرياضيات والكيمياء والطبيعيات والرسم, وكان معظم معلميها من اليهود عدا العربية فكان معلموها مسلمين, وبلغ عدد طلابها في عام ١٨٨١ (٣٥) طالبا و (٦) معلمين ، وارتفع العدد في عام ١٨٩١ الى (١٥٠) طالباً ، وفي عام ١٨٩٨ اصبح (٢٤٥) طالباً , وفي عام ١٩٠٠ بلغ العدد (٢٨١) طالباً, وكان نتيجة لجدية المدرسة في تطبيق مناهجها ونظامها الحديث حافزاً لإقبال المسلمين والمسيح ، فضلاً عن اليهود لتسجيل أبنائهم في المدرسة (عباس، ١٩٩٧، الصفحات ١٣٧-١٣٨)؛ (البدراني، ٢٠١٢، صفحة ٦٩٩).

وفي عام ١٨٩٣ أسست اول مدرسة تهذيبية ابتدائية ورشدية للبنات, وهي على نفس منهاج مدرسة البنين, الى جانب الاعمال المنزلية, وكانت مديرات المدرسة هن في الغالب زوجات مدراء مدارس الاليانس للبنين, وبلغ عدد طالباتها (٨٢) طالبة في عام ١٨٩٨ (عباس، ١٩٩٧، الصفحات ١٣٩-١٤٠).

ثالثاً : المدارس التبشيرية في ولاية الموصل في القرن التاسع عشر

أ – المدارس الكاثوليكية الفرنسية

كان العراق خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مسرحاً للتنافس الأوربي للحصول على موطئ قدما لها فيه, فكانت بريطانيا ذا نفوذ واضح ولم تكن في بادئ الامر تهتم الا بالقضايا السياسية, اما فرنسا فكانت تعد نفسها حامية للكاثوليك في العراق, فكانت ترسل الرهبان, وجعلت القاصد الرسولي يتخذ من الموصل مركزاً له, وكانت الارساليات

الفرنسية قديمة وفعالة, اذ بدأت برسالة الآباء الكرمل والاباء الدومنيكان, واخوات المحبة, وادت تلك الارساليات دوراً في نشر اللغة والثقافة الفرنسية لاسيما في الموصل, اما الولايات المتحدة الامريكية فكان نشاطها ضئيلاً (الهلالي، ١٩٥٩، صفحة ١٩٨)؛ (البدراني، ٢٠١٢، صفحة ٧٠٣).

كانت في الموصل مدارس اجنبية وهي المدارس التي تؤسس وتدار وتستمد ماليتها من الأجانب افراداً او مؤسسات او حكومات, وتوالى وصول الارساليات التبشيرية في العراق, منذ القرن السابع عشر, حتى مطلع القرن التاسع عشر, ومن تلك الارساليات الآباء الكرمليون الكاثوليك والآباء الدومنيكان الفرنسيون والبروتستانت الامريكيون, وقدم الآباء الدومنيكان الى الموصل في عـام١٧٥٠، وفتحوا مدرسة الآباء الدومنيكان على أساس غير طائفي, وفتحوا مدرسة الراهبات المعروفة بـــ (اخوات المحبة) عام ١٨٧٣، وقامت بنصيب وافر في تعليم البنات الموصليات من المسلمات والمسيحيات, وتدريسهن على الاشغال البيتية كالخياطة والتطريز, وتلك المؤسسات كانت تتلقى المساعدات والاعانات من الحكومة الفرنسية, وحصلت مدارس الموصل التبشيرية عام ١٨٨٢, على مساعدات مالية فرنسية قدرت ب (١,٥٠٠) فرنك فرنسي , وبعد وصول الاب بيسون (Bison) الى الموصل عـام١٨٥٦، خلفا للآباء الايطاليين ، كان اول عمل قام به هو جمع المدارس المبعثرة في نواحي المدينة في مدرسة نظامية واحدة اطلق عليها اسم(مدرسة مار عبد الاحد) ، والذي حاول ان يجعل منها مؤسسة تربوية ناجحة وجادة, في عصر لم يحظ فيه التعليم الابتدائي بأي اهتمام (البكر، ٢٠٠٧، صفحة ١٦)؛ (بيات، ٢٠١٣ ، صفحة ٧٢٤).

ومن جانب اخر اهتمت مدرسة الآباء الدومنيكيين في الموصل بالعلوم واللغة الفرنسية, وكانت ذا أهمية مؤثرة في تاريخ الموصل الثقافي ونشر النهضة العلمية في الموصل, لأنها لم تقتصر على تعليم أبناء الطائفة المسيحية, وانما شملت المسلمين, ومما ساعد على تطوير التعليم انشائهم مطبعة ساعدت المعلمين والطلاب على طبع الكتب والمراجع العلمية التي طبعوها بلغات مختلفة, كالعربية والفرنسية والكلدانية, وكانت كتبهم قد وضعت وفقاً لنظام التدريس الحديث بغية تسهيل الناشئة, واسست مدرسة السيمينير, وهي مدرسة مختصة بتدريب الرهبان والقسس ، وشملت دروسها مختلف الموضوعات الدينية واللاهوتية ، فضلاً عن اللغة الكلدانية والعربية والعبرية والفرنسية, اما مدرسة اخوات المحبة للبنات والتي تأسست بعد وصول اخوات المحبة الى الموصل في عام ١٨٧٣, فسارت تلك المدرسة على تدريس القراءة والكتابة واللغة الفرنسية على مستوى الدراسة الابتدائية, فضلاً عن تعليم البنات الخياطة والتطريز والاعمال المهنية والمنزلية , وكان لها دوراً في تعليم البنات في الموصل ، ولم تقتصر على تدريس البنات المسيحيات وانا شملت المسلمات وسبقت الموصل ولايات العراق في مجال تعليم البنات (الهلالي، ١٩٥٩، الصفحات ١٩٩-٢٠٠)؛ (عبدالكريم، ٢٠٠٣، صفحة ٤٨) .

اما معهد مار يوحنا الحبيب (السيمنير) فقد اسسه الآباء الدومنيكان وهو مدرسة خاصة لتخريج الكهان(القس الرهبان) ، وقد فتح المعهد في ١٠ كانون الثاني ١٨٧٨, وقد استقبل التلاميذ الأوائل المختارين للمسلك الكهنوتي, والمعهد عبارة عن شبه دير يعيش فيه التلاميذ حياة نظامية داخلية, فهناك أوقات للصلاة والتأمل والإرشاد, واوقات للدروس ، وكان اول دوام تلاميذ المعهد في دير الآباء نفسه, ونقل بعدها الى بناية أخرى مطلة على شارع نينوى مقابل طريق بيعة الإباء (البكر، ٢٠٠٧، صفحة ١٧).

وكانت أوضاع المدارس التبشيرية افضل من أوضاع المدارس الحكومية, ففي الوقت الذي كانت فيه الأخيرة تعاني من النقص والإهمال, كانت المدارس الأجنبية تتلقى الدعم والاهتمام من الدول الغربية, فيما أسهمت نشاطاتها التعليمية في بشكل او باخر بقيام حركة فكرية, ففي الوقت الذي أدخلت في التدريس اللغة العربية, عمدت على ادخال وتدريس اللغات الاوربية, لاسيما الفرنسية والإنكليزية, لاسيما علوم الآداب والصحة, وكان السبب وراء اقبال العراقيين على الدراسة في تلك المدارس, وفي محاولة للدولة العثمانية للحد من تلك الظاهرة, أصدرت نظارة وزارة الداخلية عام ١٨٨٦, قرارها القاضي بمنع التحاق الطلبة المسلمين في تلك المدارس (عبدالكريم، ٢٠٠٣، صفحة ٥١). ويبدو ان هذا هو سبب عدم وجود اعداد كبيرة للطلبة المسلمين في تلك المدارس .

ب – المدارس البروتستانتية الامريكية

بدأ التبشير الأمريكي في الدولة العثمانية, بشكل شعبي من خلال تشكيل جماعة تبشيرية في كلية ويليمز عام ١٨٠٦, التي قام افرادها بمناشدة كنائس ولاية ماسوجوستيس المستقلة ليتم دعمها ومساندتها في عملية التبشير, وفعلاً تم التعاون الذي نجم عنه تأسيس مجلس المندوبين الأمريكيين للبعثات التبشيرية الخارجية, بجهود جماعة من الكنيسة البروتستانتية المشيخية المستقلة في ولاية بوسطن الامريكية عام ١٨١٠, وباشر المجلس اعماله التبشيرية في الدولة العثمانية بارساله عام ١٨١٨ مبشرين أمريكيين وهما بلينتي فسك (Plenty Fsc) وليفي بارسنس (Levi Parsons), لتنفيذ اعمال تبشيرية في الدولة العثمانية, تمهيداً لفتح محطات تبشيرية ثابتة, والتي تأخر فتحها حتى عام ١٨٢٠ بوصول مبشران امريكيان الى مدينة ازمير في الدولة العثمانية واقاما فيها اول محطة تبشيرية أمريكية, ثم اتسع النشاط التبشيري الأمريكي في الدولة العثمانية بقسميها الاسيوي والاوربي, ففتحت محطات في مدينة طرابزون عام ١٨٣٥ وارضروم عام ١٨٣٩ وعينتاب عام ١٨٤٩, ومرعش عام ١٨٥٥ وادرنه وحلب وطرطوس وحدجين و والاسكندرونة وكيليس وسالونيا عام ١٨٥٠, وكان هدفهم في البداية كما يرى ايرهان (Erhan) في كتابه "المواقف العثمانية الرسمية تجاه المبشرين الأمريكيين" ، هو التبشير بين أبناء الطائفة اليهودية ثم اتسع المشروع ليشمل المسلمين والكنائس الشرقية, وادى ذلك التوسع فيما بعد ليشمل التدخل في شؤون الدولة العثمانية والولايات المتحدة الامريكية, واعتاد المبشرون على عدة أساليب في عملهم التبشيري ، مثل فتح الكنائس والجمعيات الخيرية والمستشفيات والمدارس والكليات والمكتبات وغيرها ؛ الا انهم ركزوا بشكل ملفت على الوسائل التعليمية, لأنها تمكن المبشرين من التغلغل في المجتمعات وغرس أفكارهم في اذهان الأطفال وغير المتعلمين ، ومن ثم تنصير المسلمين واليهود ان استطاعوا وتحويل نصارى المنطقة من المذاهب المتعددة الى المذهب البروتستانتي, لاسيما وان الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر كانت تعاني من نقص شديد في اعداد المدارس وتفشي الامية (إسماعيل، ٢٠٠٩ ، صفحة ٦١).

استهل المبشرون الامريكيون في ولاية الموصل في البداية بعمل شبه استطلاعي ، اذ اوفد مجلس الوكلاء المبشر جوستن بركنز (Justin Perkins) (١٨٠٥-١٨٦٥), بصحبة الدكتور اساهيل جرانت (Asahil Grant), الى اورمية غرب ايران عام ١٨٣٣, لفتح محطة رئيسة هناك وهي المحطة التي امتد نفوذها الى جبال كردستان والموصل لاحقا, وزار جرانت وبركنز الموصل وعند عودتهما الى الولايات المتحدة الامريكية أوصى مجلس المندوبين بفتح محطة في الموصل

والتي لاقت ترحيباً واسعاً, فارسل المجلس مبشرين اثنين مع زوجتيهما الى الموصل لإقامة ارسالية تبشيرية, وهما: كولبي ميتشل (Colby Mitchell) و ابيل هينسدل (Abel Hinsdale) , وبعد وصولهما باشرا بتأسيس الارسالية ، وبعد وفاة ميتشل وزوجته بقى جرانت وهينسدل وزوجته ينظمون مدرسة الارسالية لليعاقبة في الموصل, وبعد اكمالها فتحها جرانت في تشرين الأول عام ١٨٤٢, وكانت تضم (٢٠) تلميذاً, وبعد شهر من افتتاحها وصل مبشراً أمريكياً اخراً ومعه ثمانية بغال محملة بالكتب الدينية المطبوعة باللغة السريانية وكتب منهجية وتجهيزات مدرسية (إسماعيل، ٢٠٠٩ ، الصفحات ٦٢-٦٣).

في عام ١٨٣٥ارسل مجلس الكنيسة الأسقفية للارساليات التبشيرية في الولايات المتحدة الامريكية للقس ساوثكيت (Southket) للشرق لدراسة إمكانية التبشير في بلاد فارس والعراق والاناضول, وبالفعل وصل ساوثكيت الى الشرق عام ١٨٣٦, وبعد ان امضى عامين أوصى مجلس الكنيسة الأسقفية بفتح ارسالية لطائفة اليعاقبة, ثم استضاف ساوثكيت مطران السريان الارثدوكس بهنام لدى الارسالية الامريكية في إسطنبول بضعة اشهر ، وساعد في تلك المدة على دراسة اللاهوت وتلقينه التعاليم الدينية الخاصة ، وبعد عودة بهنام الى الموصل شجعه ساوثكيت على فتح المدارس والحصول على الكتب باللغة السريانية وعهد الى القس ميخائيل جمالا (Michael Jamala) احد القسس السريان الارثدوكس تمثيل الارسالية في الموصل بجمع الانجيليين في الموصل وفتح المدرسة التبشيرية الامريكية, الا ان المدرسة لم تستطع الاستمرار ، بسبب عدم حصولها على التمويل من الارسالية في تركيا, وبسبب عدم الحصول على الأموال انسحب ساوثكيت من الموصل وترك المجال لميخائيل جمالا للتعاون مع الارسالية وتوجه هو وميخائيل نقار (Pecker Michael) الى المبشر بركنز (Perkins) في اورمية وشجعاه على فتح ارسالية للاثوريين في الموصل في عام ١٨٤٩ ، وعلى الرغم من فتح تلك الارسالية الا ان الارسالية الاثورية لم تفتح أي مدرسة (إسماعيل، ٢٠٠٩ ، الصفحات ٦٣-٦٤).

من جانب اخر فتحت الارسالية الامريكية مدرستين في الموصل احدهما للذكور وهي رشدية, والثانية ابتدائية عام ١٨٥١, في حين تأخرت في فتح المدارس في بغداد حتى عام ١٨٩٨, اذ فتحت مدرستين في العام المذكور وهي رشدية احدهما للذكور والثانية للإناث وهي ابتدائية, وكان منهاجها قد ضم كل من اللغة العربية والتركية والإنكليزية والموسيقى, وبقدر تعلق الامر بالإناث اهتمت تلك المدارس بتدريسهن الاعمال المنزلية كالتطريز والخياطة (عبدالكريم، ٢٠٠٣، صفحة ٤٩).

ونتيجة للأوبئة وسوء الأوضاع من جهة وبسبب التطورات السياسية في الولايات المتحدة الامريكية المتمثلة بالحرب الاهلية(١٨٦١-١٨٦٥) ، فضلاً عن عدم الحصول على الموافقات لم تستطع الارساليات الامريكية من فتح المدارس في الموصل وتغيير المبشرين من خططهم نتيجة لقلة اهتمام الوزراء الامريكيين بالامر خلال المدة(١٨٦٠-١٨٨٠), لذا اقاموا المشاريع في مدينة ماردين في الدولة العثمانية, وبعد أعوام أصبحت مدرسة ماردين العالية للبنات والبنين تزود مدارس الموصل بالمعلمين والمعلمات, وجعل مجلس المندوبين الامريكيين الموصل محطة تبشيرية ثانوية تابعة للارسالية في ماردين, ومن ثم تخلى المجلس عن الموصل الى المجلس المشيخي عام ١٨٩١ وتخلت الكنيسة المشيخية هي الأخرى عن الموصل لتصبح تابعة للارسالية العربية التركية في عام ١٨٩٨, الا ان هذه الارسالية لم تبدأ عملها في الموصل حتى عام

١٩٠٠, عندما فتحت مدرسة للبنين وأخرى للبنات ومكتبة لبيع الكتب الدينية ، واستقدمت معلمين من ماردين ، وفتحت لخدمة الكنيسة والمدارس وتم تعيين عبو الحسو من الموصل للاشراف على الشؤون الدينية للطائفة الرسمية وشؤون المدرسة والمكتبة والمعلمين (إسماعيل، ٢٠٠٩ ، صفحة ٦٤).

رابعاً: المدارس التبشيرية في ولاية البصرة في القرن التاسع عشر

وجدت البعثات التبشيرية طريقها الى العراق منذ بداية القرن السابع عشر ، ففي عام ١٦٢٢ قدم الكرمليون البصرة للعمل من اجل نشر الديانة المسيحية ، وفي ١٣ نيسان ١٦٢٥ اتم الكراملة تشييد كنيستهم في البصرة واقيم احتفال كبير عند افتتاحها ، ومنذ ذلك الوقت توالى النشاط التبشيري في العراق ، فاستقر خلال القرن الثامن عشر ، ولم يكن اختيار البصرة قاعدة ومحطة اولى لعمليات الارسالية امراً عفوياً ، بل كان امراً مخططاً ومدروساً ، نظراً لما يتمتع به موقع المدينة من اهمية استراتيجية في المنطقة كلها ، فانها اكبر ميناء يسيطر على الرأس الشمالي للخليج العربي ، وعلى الرغم من ان البصرة كانت اولى الولايات التي شهدت بداية النشاطات التبشيرية الفرنسية ، الا ان ارساليات المبشرين الكاثوليك كانت محدودة العدد ، بسبب محدودية نشاطات فرنسا التجارية وقلة رعاياها المتواجدين في البصرة ، فضلاً عن عدم تجاوب المسيحيين الأرثوذكس من اهالي المدينة معهم في بادئ الامر (الشباني، ٢٠١٧ ، الصفحات ٣٢-٣٣).

في عام ١٨٨٤ قام الكرمليون بفتح مدرسة للبنين في مدينة العمارة التي كانت تابعة لولاية البصرة ، يدرّس فيها معلم واحد (مبشر ديني) ، كان قد ارسل من بعثة الكرمل في بغداد ، وكان المبشرون يتبادلون كل عام بالدور للتدريس في هذه المدرسة ، اما الطلاب الذين دخلوا اليها مع افتتاحها فكانوا قرابة عشرون طالباً ، ومع مجيء الراهبات الفرنسيات الى البصرة عام ١٨٩٩ دب النشاط ثانية لبعثة الكرمل ، على الرغم من بقائهم لمدة قصيرة ، فقد نشطوا في مدينة العمارة وافتتحوا مدرسة للبنات ملحقة بمدرسة البنين عام ١٨٩٩، وكان من ضمن مخططات هذه الارسالية فتح ملجأ يأوي الايتام وتعليمهم مختلف الحرف ، الا انه لم ينفذ ذلك بسبب عودتهن (ريكان، ٢٠١٩، صفحة ٢٦٧).

كانت الارسالية التبشيرية المعروفة بالارسالية العربية الامريكية قد افتتحت اول مركز لها في البصرة عام ١٨٩١, على يد صموائيل زويمر (Samuel Zwemer), وجيمس كانتون (James Canton), طالبان في المعهد اللاهوتي للكنيسة الهولندية, وفيليب فيلبس (Philip Phelps) ، وبرئاسة الدكتور لانستك(Lancetak) استاذ اللغة العربية في معهد اللاهوت التابع للكنيسة الاصلاحية الهولندية في ولاية نيو جرسي الامريكية ، وكان من اهدافها الاساسية التبشير بالنصرانية في منطقة الخليج العربي، وقد افتتحت فرعا لها في العمارة عام ١٨٩٥ (الحسن، ٢٠١٦، صفحة ١٦)؛ (التميمي، ١٩٩٤ ، صفحة ١١).

وقد لاقى تأسيسهم لمحطتهم في البصرة عام ١٨٩١ معارضة وعداء شديدين من جانب السلطات العثمانية ، لاسيما فيما يتعلق بالحصول على الابنية الضرورية ، وكان مشروع البناء التبشيري الأول في البصرة مدرسة البنات بحديقتها الواسعة المغروسة بالنخيل ، وأقاموا مسكناً قريباً منها لأعضاء الإرسالية وأنشأوا مكتبة داخل أسوار مجمع مدرسة البنين في العشار في وسط مدينة البصرة ، في الوقت الذي بنوا فيه مدرسة البنات، وكان لوجود السيد دايكسترا (Dykstra) ، وهو أحد رؤساء الإرسالية في البصرة والذي كان لديه خبرة في هذه الأمور فرصة ثمينة للاستفادة من خدماته في هذا الميدان ، ومن المعالم البارزة للنشاطات التبشيرية الأولى في البصرة توزيع الكتب المقدسة على الناس، واول مؤسسة تبشيرية افتتحت في تلك المنطقة هي مكتبة الكتاب المقدس ، وادعى المبشرون بأنهم كانوا يبدأون أولا ببيع أعداد

كبيرة من الكتب الدينية ، وعدّوا ذلك دليلاً على تأثيرهم على عقول الناس، ولكن الامر لم يكن كذلك ، لأن الناس كانوا متعطشين للقراءة ، ولا سيما في أمور لم يكونوا يعلموا عنها شيئاً في وقت كانوا لا يزالون يعيشون بعيداً عن الحضارة الحديثة، ولم يجد المبشرون صعوبة في استئجار المنازل في البصرة ، فقد تمكنوا من الحصول على مساكن عديدة (التّميمي، ١٩٨٨، الصفحات ٢٤-٢٦).

وفي بداية عهد الارسالية الامريكية لم تكن مهمة المرسلين سهلة الاداء ، اذ لاقوا معارضة شديدة من الاهلين ومقاومة عنيفة من السلطات العثمانية المحلية، فقد امتنع الاهلون عن زيارة المكتبة واقتناء الكتب منها ، او الاتصال بالمرسلين ، اما السلطات المحلية فقد منعت منتسبي الارسالية من القيام بجولات تبشيرية وامرت بغلق المكتبة ومصادرة الكتب ، ووضعت مسكن المرسلين تحت مراقبة الشرطة ، ومما زاد الطين بلة ، قساوة المناخ ، وعدم توفر المسكن المريح ، وانتشار الاوبئة الفتاكة في المنطقة ، التي اودت بحياة سبعة منهم في مراكز عملهم واثنتهم عن اداء واجباتهم كما يجب (الشباني، ٢٠١٧ ، صفحة ٣٦).

وعلى الرغم من تلك الصعوبات الا ان الارسالية الامريكية في البصرة استمرت في عملها بالتبشير، ليس وسط البصرة واهاليها فحسب ، بل قام اعضاءها بالكثير من الرحلات القصيرة والطويلة لمدن وقرى وجنوب العراق تحديداً ، كانوا يوزعون فيها الكتب ويفتحون المكتبات الصغيرة ويحاولون اقامة العلاقات مع الاهالي البسطاء ، وقد اولت البعثات التبشيرية الامريكية التعليم اهتماماً كبيراً ، فضلاً عن الناحية الطبية ، اذ عمدت الى انشاء مدارس ملحقة بالكنائس تبدأ بالمرحلة التمهيدية (رياض الاطفال) ، التي تعتمد في منهجها على التربية المسيحية ، وان كانت هذه المدارس لا ترغم الاطفال المسلمين على اداء الصلوات في طابور النظام او في الفصول الدراسية ، ولكنها ترغمهم على حضورها ومشاهدة الاطفال المسيحيين وهم يؤدونها ، وهذه المشاهد بحد ذاتها اثرت في نفوس الاطفال المسلمين (الشباني، ٢٠١٧ ، الصفحات ٣٦-٣٧).

اما الارسالية الامريكية البروتستانتية التي بادر احد أعضائها ويدعى بارني (Barney) بفتح مدرسة صغيرة في مسكنه في البصرة، الا ان السلطات العثمانية سرعان ما اغلقتها ، بسبب عدم حصولها على رخصة (عبدالكريم، ٢٠٠٣، صفحة ٤٩).

الخاتمة

بعد دراسة المدارس التبشيرية في العراق ابان القرن التاسع عشر تم التوصل الى الآتي :

ان تلك البعثات قد استخدمت الفكر والتعليم كوسيلة للتغلغل بين عقول الناس بالتأثير على طريق التوعية الفكرية, وفتح مجال التعليم في مدارسها التي كانت تديرها وفقاً لإرادتها وأهدافها, وكانت تلك البعثات تتلقى دعماً كبيراً من قبل الدول الاوربية, وهي وسيلة لفرض نفوذها في الدولة العثمانية .

مع ان فرنسا كانت تعد حامية للرعايا الكاثوليك ، فان بريطانيا كانت تعد حامية للمصالح البروتستانتية في العراق في العهد العثماني, مستغلين حالة الضعف التي كانت تعاني منه الدولة العثمانية في العهد الأخير, وعلى الرغم من الدور المشبوه لتلك البعثات الا انها ساهمت بشكل إيجابي في تطوير التعليم في العراق, من خلال خدمة التراث العربي واللغة العربية, ونقل مظاهر الحداثة الغربية ودمجها مع الحضارة الشرقية بما يخدم تطورها .

ارتبطت جهود البعثات وتأسيسها المدارس بدخول أولى المدارس الحديثة ونشر التعليم الحديث في العراق, وساهمت تلك المدارس بتعليم فئة ليست بالقليلة في العراق بمختلف العلوم ، وكانت تعد من المدارس النموذجية, مقارنة بالمدارس الحكومية, وبذلك كان لها دوراً في النهضة الثقافية في العراق .

توزعت المدارس في الولايات العراقية في العهد العثماني بين مختلف الدول الاوربية والولايات المتحدة الامريكية ، فقد انتشرت في ولاية بغداد المدارس التبشيرية الكاثوليكية الفرنسية والمدارس البروتستانتية البريطانية ، فضلاً عن المدارس اليهودية رغم محدوديتها في ولاية بغداد .

اما في ولاية الموصل فقد انتشرت ايضاً عدد من المدارس الكاثوليكية الفرنسية والمدارس التبشيرية البروتستانتية الامريكية ، اذ كانت بيئة ولاية الموصل ملائمة لإقامة تلك المدارس ، وكذلك فان التنوع في طبيعة المجتمع الموصلي ساعد على انتشار تلك المدارس .

وفي ولاية البصرة يمكن القول ان المدرسة الكرملية التي نشأت في تلك الولاية لم تستمر طويلاً ، فضلاً عن ذلك فان المدرسة البروتستانتية الامريكية التي تأسست في ولاية البصرة عام ١٨٩١ لم يكتب لها النجاح ، اذ ان بيئة البصرة لم تتقبل الارساليات التبشيرية واقامة تلك المدارس ، ناهيك عن البيئة الغير صالحة لذلك .

مراجع

Bedan, S. (2022). Higher Education in Iraq between the Past and the Present. *Journal of Positive School Psychology*.

احمد حسين عبد الجبوري. (٢٠١٨). الأقليات الدينية والمصالح التنصيرية الاوربية في العراق ١٨٧٦-١٩٠٩. تم الاسترداد من https://www.researchgate.net/publication/326786527

احمد فكاك البدراني. (٢٠١٢). التعليم في العراق في العهد الملكي. *مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية*.

بدر مصطفى عباس. (١٩٩٧). الحياة التعليمية في ولاية بغداد ١٨٦٩-١٩٠٩. *رسالة ماجستير*. العراق: كلية الاداب, جامعة الموصل.

بهاء حسين شاكر الشباني. (٢٠١٧). مسيحيو العراق ١٩٥٨-١٩٦٨دراسة تاريخية. *رسالة ماجستير* . كلية التربية ، جامعة القادسية.

بيداء سالم صالح عزيز البكر. (٢٠٠٧). التعليم في الموصل ١٩٣٢-١٩٦٣ دراسة تاريخية. *رسالة ماجستير*. كلية التربية, جامعة الموصل.

جاسم محمد رجب. (٢٠١٥). المدارس المسيحية في بغداد ١٩٢١-١٩٥٨دراسة تاريخية. *رسالة ماجستير*. العراق: كلية التربية الأساسية, الجامعة المستنصرية.

حازم مجيد احمد الدوري. (٢٠١٠). تطور التعليم في العراق(١٨٥٠-١٩١٥). *مجلة سرى من رأى*.

زينب هاشم جريان. (٢٠١٣). التعليم النسوي في العراق ١٩٢١-١٩٥٨ دراسة تاريخية. *رسالة ماجستير*. العراق: كلية التربية للبنات, جامعة بغداد.

سمير عباس ريكان. (٢٠١٩). التبشير البروتستانتي المسيحي في لواء العمارة ١٨٩٥-١٩٥٩. *مجلة كلية التربية الاساسية*.

ضياء علي عبد الحسن. (٢٠١٦). التعليم في لواء العمارة ١٩٥٨-١٩٦٨. *رسالة ماجستير*. العراق: كلية التربية, جامعة واسط.

عامر بلو إسماعيل. (٢٠٠٩). التعليم التبشيري الأمريكي في الموصل منذ أواخر العهد العثماني حتى عام ١٩٣٢. *مجلة التربية والعلم- مركز دراسات الموصل*.

عبد المالك خلف التّميمي. (١٩٨٨). *التبشير في منطقة الخليج العربي دراسة في التاريخ الاجتماعي والسّياسي*. الكويت.

عبدالرزاق الهلالي. (١٩٥٩). *تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧*. بغداد.
فاضل بيات. (٢٠١٣). *المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني دراسة تاريخية إحصائية في ضوء الوثائق العثمانية*. إسطنبول.
لمى عبدالعزيز مصطفى عبدالكريم. (٢٠٠٣). الخدمات العامة في العراق ١٨٦٩-١٩١٨.*أطروحة دكتوراه*. العراق: كلية الاداب , جامعة الموصل,.
ماجد عبد الله التميمي. (١٩٩٤). العراق والسياسة الفرنسية في الشرق العربي (١٩٢١-١٩٤٦). *رسالة ماجستير*. كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد.

قوتابخانە موژدەبەخشەکان لە عێراق لە سەدەی نۆزدەیەمدا (تۆێژینەوەیەکی مێژوویی)

پرۆفیسۆر دکتۆر نعیم جاسم محەمەد - کۆلێژی پەروەردە بۆ زانستە مرۆڤایەتییەکان - زانکۆی بابل

پوختە

تۆێژینەوەکە باس لە قوتابخانە مژدەدەرەکان دەکات لە عێراق لە سەدەی نۆزدەهەم (لێکۆڵینەوەیەکی مێژووی) و ئاماژە بە گرنگی ئەم قوتابخانەیانە و ئەو وڵاتە ئەوروپیانە دەکات کە دایانمەزراندن، لە کاتێکدا عێراق لە سەدەی نۆزدەهەمدا لەژێر کۆنترۆڵی عوسمانییەکاندا بوو. تۆێژینەوەکە چوار تەوەری گرنگ لەخۆ دەگرێت: تەوەری یەکەم تێڕوانینێکی مێژوویی بۆ هەلومەرجەکانی دامەزراندنی کۆمەڵگە ئەوروپییەکان لە عێراق لە ژێر دەسەڵاتی عوسمانییەکان لە سەدەی نۆزدەیەمدا پێشکەش دەکات، تەوەری دووەم باس لە قوتابخانە مژدەدەرییەکان دەکات لە پارێزگای بەغدا لە سەدەی نۆزدەیەم. تەوەری سێیەم تیشک دەخاتە سەر قوتابخانە مژدەدەرەکان لە موسڵ لە سەدەی نۆزدەهەم. تەوەری چوارەم ناوی قوتابخانەی مژدەدەرییە لە پارێزگای بەسرە لە سەدەی نۆزدەیەم. تۆێژینەوەکە پشتی بە چەند سەرچاوەیەک بەستووە لەوانە کتێبی عەرەبی و بیانی و چەندین تێزی زانکۆ کە تۆێژینەوەکەی دەوڵەمەند کردووە بە زانیاری ورد و گرنگ.

وشە گرنگەکان: قوتابخانە مژدەدەرەکان، عێراق، سەدەی نۆزدەهەم.

Abstract

The research deals with missionary schools in Iraq during the nineteenth century (a historical study). The research pointed to the most important of those schools and the European countries that established those schools, at a time when Iraq was under Ottoman control in the nineteenth century. The research included four important axes: The first axis referred to a historical overview of the circumstances of the establishment of European communities in Iraq under the rule of Ottoman control in the nineteenth century. As for the second axis, it talked about missionary schools in the state of Baghdad in the nineteenth century. The third axis shed light on the missionary schools in Mosul in the nineteenth century. The fourth axis came under the title of missionary schools in the state of Basra in the nineteenth century. The research relied on a number of Sources, including Arabic and foreign books, and a number of university theses, enriched the research with accurate and important information.

Keywords: missionary schools, Iraq, the nineteenth century